مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد السابع والعشرون - المجلد الخامس - التاريخ - آذار 2026م
doi.org/10.52866/esj.2026.05.27.09

الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لمدن المغرب في كتاب تاج المفرق في تحلية علماء المشرق للبلوي (ت 780 هـ - 1378م)

أ. د. صهيب محمد ناصر الكبيسي ، أياد خلف محمود الزوبعي
الجامعة العراقية / كلية التربية - قسم التاريخ
alkhateb2112@gmail.com ayad.k.mahmmod@aliraqi

مستخلص:

يتناول هذا البحث الاحوال الاقتصادية والاجتماعية لمدن المغرب في كتاب (تاج المفرق في تحليه علماء المشرق) للبلوي ، أبو البقاء خالد ابن عيسى ابن إبراهيم ابن أبي خالد ، (ت780هـ/ 1378م)، ينتسب البلوي إلى مسقط رأسه في قنتوريه (الأندلس)، حيث كان هذا الرجل من أهل الفضل كثير التواضع في ذمة التخلق حسن الأخلاق جميل العشرة محب في الأدب ، وهو قاضي من قضاة الأندلس، وقد تضمن البحث مبحثين اساسيين كان المبحث الاول عن السيرة الشخصية للبلوي، أما المبحث الثاني فقد جاء لدراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ثم تلتهما خاتمة بأهم النتائج وذيلت البحث بقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: مدن المغرب، الاحوال الاجتماعية و الاقتصادية، البلوي.

The economic and social conditions of Moroccan cities in book Taj al-Mafraq fi Tahliyyat Ulama al-Mashreq by al-Balawi (dead. 780 AH / 1378 A.D.)

Prof. Dr. Suhaib Mohammed Nasser Al-Kubaisi ، Ayad Khalaf Mahmoud Al-Zubaie
University of Iraq / College of Education / Department of History

Abstract :

This research examines the economic and social factors of Moroccan cities through the book (Taj al-Mafraq fi Tahlihi Ulama' al-Mashriq) by al-Balawi, Abu al-Baqa Khalid ibn Isa ibn Ibrahim ibn Abi Khalid (dead. 780 AH/1378 AD). Al-Balawi hails from his hometown of Qanturi (Andalusia). He was a man of great virtue, humble in his character, virtuous in his manners, amiable in his company, and a lover of literature. He was also an Andalusian judge. This research consists of two main sections: the first covers al-Balawi's personal biography, while the second covers the economic and social factors of Moroccan cities. This is followed by a conclusion and a list of sources and references.

Keywords: Moroccan cities, social and economic conditions, al-Balawi .

المقدمة

أبي البقاء الأديب والقاضي الذي يعد من فضلاء عصره لبلاد الأندلس والتي إقامته في قنتورية الذي شغل منصب قاضيها، وفي أماكن متعددة من الأندلس وإصبع من أشهر قضاة الأندلس خلال القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، والذي يعد أبي البقاء من كتاب القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ويعرف باسم خالد ابن عيسى ابن احمد ابن إبراهيم ابن أبي خالد البلوي وقيل القنتوري الأندلسي ينتمي إلى قبيلة البلويين وقد تبين لنا حسب ما ذكر ابن الخطيب انه ولد في مدينة قنتورية من إعمال غرناطة التي كان والده قاضيا بها سنة (713هـ) وتوفي سنة (780 هـ)، ثم حج وجال في بلاد المشرق والمغرب وصنف رحلته (تاج المفرق في تحليه علماء المشرق) التي إلفها بأسلوب أدبي نثري جميل ودقيق الوصف.

لقد سجلت رحلة البلوي في كتابه (تاج المفرق في تحليه علماء المشرق) الكثير من مشاهد الحياة الاقتصادية في المدن التي جابها فقد احتوت الرحلة على تفاصيل في الجوانب الاقتصادية من خلال ذكر الأسواق والمحلات التجارية والحرف والصناعات فضلاً عن الجانب الزراعي في القرى ونجد كل ذلك مفصل من خلال طيات ذلك الكتاب.

المبحث الأول

أولاً: اسمه ونسبة

أبي البقاء خالد بن عيسى ابن احمد ابن إبراهيم ابن أبي خالد [1] البلوي[2] وقيل القنتوري[3] الأندلسي[4] ينتمي إلى قبيلة البلويين[5] وقد تبين لنا حسب ما ذكر ابن الخطيب انه ولد في مدينة قنتورية من إعمال غرناطة التي كان والده قاضيا بها سنة (713هـ)[6] .

ينسب البلوي إلى مسقط رأسه في قنتوريه وهو قاضي من قضاتها وعالم من علماء الأندلس تلقى

(1) ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، (ت 776هـ)، الإحاطة في إخبار، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي غرناطة، دار الكتب العلمية، ط1 (بيروت، 1424هـ)، ج1، ص286.

(2) بابيتي، عزيزة فوال، موسوعة إعلام العرب والمسلمين والعالمين، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1971م)، ج 1، ص 356.

(3) قنتورية: وهي بلدة صغيرة من أعمال ولاية المرية في مملكة غرناطة وحصن من حصون وادي المنصورة. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص286.

(4) ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر، (ت 1360 هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح: عبد المجيد خيالة، دار الكتب العلمية، ط1، (لبنان، 1424هـ)، ج1، ص 329.

(5) قبيلة البلويين منتشرة في عدة بلاد إسلامية كجزيرة العرب والأندلس والمغرب، وهي قبيلة عربية صميمة من قضاعة اليمنية هاجرت من اليمن إلى الحجاز قبل الإسلام وفي ظلال الإسلام ناصرت الدعوة الإسلامية وكانت من أنصار الرسول وكانت لها شرف المشاركة في عدة غزوات. ينظر: البلوي، أبو البقاء خالد بن عيسى، (ت780 هـ)، تاج المفرق في تحليه علماء المشرق، تح: الحسن السائح، ج1، ص16.

(6) ابن الخطيب، الإحاطة في إخبار غرناطة، ج3، ص 27.

علومه الدينية واللغوية والأدبية على أبية ثم على عدة من شيوخ أندلسيين ومغاربة ويذكر انه اخذ العلم أيضا عن علماء غرناطة [1] .

ثانياً : صفاته

وصفه ابن الخطيب حيث قال: «إن هذا الرجل كان من أهل الفضل كثير التواضع في ذمة التخلق حسن الأخلاق جميل العشرة محب في الأدب»[2] وقد كان يتشبه بالمشارقه شكلا ولسانا ويتبين لنا اخذ يغير لحيته بالكتم[3] والحناء [4] وقال الحضرمي هو صاحبنا الفقيه الأجل القاضي العادل الحاج المختلق الحسيب الأديب العالم الفاضل [5] .

ثالثاً: رحلاته

تبين لنا إن البلوي كان شغوفا بالرحلة والإسفار فقد علمنا عنه رحل بثلاث رحلات كانت الأولى إلى بلاد الأندلس عامة ومدينة فأس خاصة من اجل الدراسة فيها والتعلم من علمائها [6] .

إما رحلته الثانية فقد قصد بها بلاد المشرق وهي الرحلة التي أكثر شهرة من رحلة المغرب وهو صاحب الرحلة المسماة (تاج المفرق في تحليه أهل المشرق)[7] .

وبناء على ما تقدم نستذكر كتابة المشهور والمعروف (بتاج المفرق في تحليه علماء المشرق).

إما رحلته الثالثة فقد قصد بها شرق الأندلس لغرناطة[8] والمرية[9] ويلش وغيرهما [10][11] .

رابعاً : مؤلفاته

1- رحلته المسماة (تاج المفرق في تحليه علماء المشرق) ويذكر لنا ابن الخطيب انه حج وقيد رحلته في سفره ووصف لنا فيها البلاد التي جابها.

2- ترك البلوي ديوان شعر ضمنه قصائده ومقطوعاته التي أشار إليها في رحلته.

3- كما له تخريج في حديث الرحمة، وكتابا عن أسانيد لثلاثيات البخاري أشار له في تاج المفرق.

---

(1) بابيتي، موسوعة الإعلام، ج1، ص 356.

(2) ابن الخطيب، الإحاطة في إخبار غرناطة، ج3، ص189.

(3) الكتم: بفتح الكاف والتاء المشدده وهو ورق من نبات الجبال ولهُ ثمر كثمر الفلفل يسوّد إذا نضج يخلط مع الحناء ليصبغ به الشعر. ينظر : الهروي، علي بن سلطان محمد، (ت 1014 هـ)، جمع الوسائل في شرح الشمائل، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1971هـ)، ج1، ص122؛ الحنبلي، محمد بن احمد بن سالم أبي العون، (ت 1188 هـ)، شرح ثلاثيات مسند الإمام احمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1971هـ)، ج2، ص33.

(4) التنبكي، احمد بابا بن محمد، (ت 1036هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله، دار الكتب، ط2، (طرابلس، 2000م)، ج1، ص188.

(5) التنبكي، نيل الابتهاج، ج1، ص 189.

(6) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس التلمساني، (ت 1041 هـ)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، (بيروت، 1900)، ج3، ص 138.

(7) المقري، نفح الطيب، ج3، ص138.

(8) غرناطة: وهي أقدم مدن كوره البيرة من إعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها يشقها النهر المعروف بنهر قلزم ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس. ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الد (بيروت، د الله بن عبد الله الرومي، (ت 626هـ) . معجم البلدان، دار صادر، ط2، (بيروت، 1995)، ج4، ص195.

(9) المرية: وهي مدينة كبيرة من إعمال الأندلس وكانت منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب يضرب ماء البحر سورها ويعمل فيها الديباج وفيها يكون ترتيب الأسطول للمسلمين ومنها يخرج إلى غزو الإفرنج. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص119.

(10) يلش: وهو حصن بالأندلس من إعمال قرموطه. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 410.

(11) البلوي، تاج المفرق، ج1، ص 45.

4- كما له مجموعة مختارة من أشعار معاصريه[1].

خامساً: وفاته

وقد جاء عن وفاة أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي فقد ذكر انه توفي بعد سنة (767 هـ)[2]، وقيل كان بالحياة سنة (755 هـ)[3] وهذا ما نفاه لنا الأستاذ الحسن السائح المحقق لهذه الرحلة بقولة إن ذلك غير صحيح بأن البلوي أتم كتابة الرحلة في أخر أيام شهر ربيع الأول سنة (777هـ) ببرشانة ولم يعيش بعد هذا التاريخ الا القليل والمؤكد توفي سنة (780 هـ) ونستطيع ان نرجح كلام السائح كونهُ كتب عن حياة البلوي بالتفصيل ونرجح إن توفي في هذا العام الذي ذكره المحقق[4] .

المبحث الثاني : مدن المغرب

شهدت المغرب مطلع القرن الثامن الهجري (القرن الرابع عشر الميلادي) تحولات اقتصادية مهمة تأثرت بعدة عوامل منها عوامل اجتماعية وعوامل سياسية وعوامل جغرافية في فترة حكم الدولة المرينية[5]

(1) البلوي، تاج المفرق، مقدمة المحقق، ج1، ص36.

(2) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، (ت 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط10، (مصر، 2002 م)، ج2، ص297.

(3) ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص329.

(4) البلوي، تاج المفرق، ج1، ص 54.

(5) المرينية: يعودون إلى البربر من قبيلة زناته وقد كانوا بدو يتنقلون في الصحاري ولا يخضعون لأحد أول زعيم عرف لهم اسمهُ المخصب بن عسكر قتل سنة (540هـ)، حققوا انتصارات على النصارى بالأندلس سنة (674هـ). ينظر: ألعسيري، احمد معمور، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد ادم علية السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1417هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، (الرياض، 1417 هـ - 1996م)، ج1، ص304.

والزيانية[6] والحفصية[7]، فشهدت هذهِ الفترة انتعاش بعض الحواضر الكبرى أمثال مدينة تلمسان وفاس وغيرهما التي أصبحت هذهِ المدن مراكز تجارية مزدهرة، قد اعتمد اقتصاد هذهِ المدن على عامل الزراعة في المرتبة الأولى في المناطق المحيطة بها خاصة زراعة المحاصيل الأساسية كالقمح والشعير والحمضيات والزيتون والعنب وغيرها من المحاصيل الأخرى .

إما عن الجانب الصناعي فقد توسعت الصناعات في تلك المدن وتنوعت مثل صناعة النسيج وصناعة الفخار، وبعد تلك الثورة الزراعية والصناعية لابد من وجود أسواق لتصريف الإنتاج فظهرت الأسواق الأسبوعية وكان لها دوراً محورياً بارزاً في تطوير الحركة التجارية حيث بدأت تستقطب من مختلف إنحاء بلاد السودان والأندلس، وقد اثر موقع المغرب الجغرافي المميز

(6) الزيانية: نشأت في الجزائر من صميم أهل الجزائر ومن أوسط قبائل زناته نسباً وهم بنوا الوأد وكانت قاعدة مملكتهم مدينة تلمسان التي انتزعها انتزاعاً من الدولة ألموحديه وكان ابتداء هذهِ الدولة سنة (633 هـ/ 1235م)، وانقراضها سنة (957 هـ/ 1550م)، باستيلاء الأتراك عليها. ينظر : الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر، (ت 1358 هـ)، اثأر الإمام محمد بشير الإبراهيمي، تح: احمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، (د.م، 1417هـ/ 1997م)، ج5، ص 109.

(7) الحفصية: اختلف العلماء عن أصل أمراء بني حفص فمنهم يرجعهم إلى عمر بن الخطاب ﷺ كابن نخيل الذي يعد أول كاتب لديوان الدولة الحفصية، ومنهم أرجعهم إلى قبيلة هنتاته التي تعد من أهم قبائل المصامدة ويعتبر أبو حفص من زعماء المصامده. ط، ر : الصلابي، علي محمد محمد، دولة الموحدين، دار البيارق، د . ط، (عمان، د.ت)، ج1، ص353.

الذي يقع على ملتقى طرق القوافل التجارية الصحراوية والموانئ البحرية مما تعد حلقة وصل بين إفريقيا وأوروبا والمشرق الإسلامي وكانت السلع المتبادلة تشمل أنواع مختلفةً وتكمن أهمية هذا الموقع على انه يبرز تفاعل العوامل الاقتصادية مع تأثير التحولات السياسية في فترة القرن الثامن الهجري، ومن اهم تلك المدن.

1- مدينة هنين

مدينة صغيرة بأرض المغرب ويقال من نواحي تلمسان جليلة على البحر يحدها من جهة الشمال مدينة تلمسان[1] تعد هذهِ المدينة موقعا تجارياً مهماً إذ تحتوي على مرفأ للسفن التجارية ومركزاً اقتصادياً حيوياً في المغرب إذ يعد مينائها الشريان الأساسي للمدينة حيث يستخدم للاستيراد والتصدير للبضائع التجارية بين مدن أوروبا وشمال افريقية، قد ذكرها البلوي وهو يصف تلك المدينة بحجمها المتوسط بأنها جميلة المنظر ولاسيما موقعها بين البحر والبساتين مما جعلها تسر الناظر فيقولً « فنزلنا بها فرأيت بليدة نظيرة لا كبيرة ولا صغيرة جميلة المنظر متوسطة بين الصغر والكبر موضوعه أسفل جبلين بين بحر وشجر يخفضها ارتفاع قلعة»[2] فلم يكن هذا الحجم للمدينة إن يجعلها معدومة من الغير مشهورة اقتصادياً حيث احتوت على العديد من الأسواق الوافرة بموادها الزراعية والصناعية أضافته إلى دور الصناعات التي تمتلكها هذهِ المدينة والذي امتاز موقعها بقربها من الأندلس جعلها مدينة تجارية مهمة فقال البلوي فيها « فيها دار صناعة، وأسواق مرفوعة ومساجد معمورة ولقربها من الأندلس هي مذكورة»[3].

إما عن جوانبها الاجتماعية فكانت هذهِ المدينة ملتقى تجاري مما يعزز من الاختلاط بينها بين مدن الأندلس ولاسيما في عهد الموحدين فقد تكون مجتمعها من طبقات متعددة منها (العلماء، الفقهاء، التجار، الحرفيين، الفلاحين)، إذ تعتبر هذهِ المدينة واحدة من الحواضر الإسلامية الزاخرة إذ تمتلك على العديد من الأبواب منها باب البحر سمي بهذا الاسم لانفتاحه على البحر، الشمال، باب الخراج، باب الشرق حيث يقع شرقي المدينة، باب الغرب ويستخدمه التجار في رحلاتهم [4].

2- مدينة تلمسان

هي مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز[5] ولها خمسة أبواب ثلاثة منها باتجاه القبلة، باب الحمام، وباب وهب، وباب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة[6] وفي الغرب باب أبي قرة وفيها اثأر قديمة، يقول عنها البلوي «رأيت مدينة قلة مثلها

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص419؛ ابن شمائل، عبد المؤمن ابن عبد الحق القطيعي الحنبلي صفي الدين، (ت 739 هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، ط1، (بيروت، 1412هـ / 1991م)، ج3، ص1466.
البلوي، تاج المفرق، ج1، ص148.

(3) البلوي، تاج المفرق، ج1، ص148.

(4) ابن يحيى، مصطفى، مدينة هنين في عهد الموحدين والزّياني، مجله، الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، سنة 2024، العدد 1، ص 88.

(5) الجوز: معروف بأرض العرب ويربى باليمن وخشبة موصوفة بالصلابة والقوة ويقال إن سفينة نوح علية السلام مصنوعة من خشب الجوز. ينظر: علي، جواد علي، (ت 1408 هـ)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، (بيروت، 1422هـ، 2001م)، ج13، ص76.

(6) البكري، أبو عبيد عبد الله عبد العزيز بن محمد الأندلسي، (ت 487هـ)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، د. ط، (بيروت، 1412هـ/ 1992م)، ص 745.

وجل عرارها بانها وأثلها ومياه لها على در الحصى انسحاب وانسياب وروضات يعترى ويعترض إليها اهتزاز وارتياح، وجنات ريقها ندى وثغورها أقاح فسيحة الإرجاء صحيحة الهواء ممتدة الغاية في الحسن والانتهاء جوها صقيل مجتلاها جميل واخضرار جوانبها»[1] ووصفها البلوي بأنها مدينة قله ما رأى مثلها بين سائر المدن عندها يصف مياهها العذبة بأنها تجري دون اله على حصاها بانسياب رائع ويصف جمال روضاتها بأنها جنات الله على الأرض وأرضها واسعة وخلابة وهوائها صحي جميل حتى وصفها ممتدة في الحسن بكثرة أخضار جوانبها، ويذكر ياقوت الحموي ما تمتلكه تلمسان «الخيل الراشدية لها فضل على سائر الخيل وتتخذ النساء فيها الصوف أنواع من الكنابيش[2] لا توجد في غيرها»[3].

حتى وصفها البلوي «تمتلك كثرة الأنهار والإزهار من جميع الجهات»[4]، حتى أطلق عليها بلؤلؤة المغرب الكبير إذ تمتلك هذهِ المدينة بمناخها المعتدل وطبيعتها الخلابة من كثرة مياهها وتوفر الأشجار الخلابة فيها.

3- مدينة الجزائر

جمع جزيرة، اسم علم لمدينة على ضفة البحر بين المغرب وأفريقية بينها وبين بجاية أربعة أيام، وجزائر مدينة قديمة البنيان فيها اثأر للأول عجيبة محكمة تدل على أنها كانت دار ملك لسالف الأمم فيها صور للحيوانات بأحكم عمل وأبدع صناعة لم يغيرها تقدم الزمان[5] لذلك تعد اثأر هذهِ المدينة شاخصة رغم مرور السنين وذلك بسبب الإتقان في عملها.

إما بما يخص الجانب الاقتصادي إذ يصفها ياقوت الحموي «لها أسواق ومساجد عامرة ومرساها مأمون لهُ عين عذبه يقصد إليها أصحاب السفن من افريقية والأندلس وغيرهما»[6].

وقد وصفها البلوي بقولة «سرت على بياض ذلك الساحل وخضرة تلك المروج»[7].

4- مدينة بجاية

تعد مدينة بجاية من المدن الساحلية حيث تقع على ساحل البحر بين افريقية والمغرب[8] ويعد موقعها مجاورة لجبل شاهق وفي قبلتها جبال، «كانت هذهِ المدينة قاعدة لملك بني حماد وتسمى الناصرية أيضا نسبه إلى بانيها الناصر ابن علناس ابن حماد ابن زيد (481-454 هـ/ 1088-1062م)[9]، كانت هذهِ المدينة مفتقرة عن جميع البلاد لا يخصها من المنافع شيء إنما هي دار مملكة إذ تنطلق منها

(1) البلوي، تاج المفرق، ج1، ص148 - 149.
(2) الكنابيش: جمع كنبو شاو كنبوشة وتشير إلى أصناف أو نوع من الأقمشة والخيوط وعادتاً ما تضع على رؤوس الخيل. ينظر: المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني ألعبيدي تقي الدين، (ت 845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا الله دار الكتب العلمية، ط1، (بيروت، 1418هـ/ 1997م)، ج5، ص123.
(3) معجم البلدان، ج2، ص44.
(4) تاج المفرق، ج1أ ص150.
(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص132.
(6) معجم البلدان، ج2، ص132.
(7) تاج المفرق، ج1، ص152.
(8) ابن شمائل، مراصد الاطلاع، ج1، س163.
(9) الناصر: ابن علناس ابن حماد ابن زيد ابن ملكين بن زيري الصنهاجي البربري ملك المغرب وهو الذي انشأ مدينة بجاية إذ كان يعد من رجال العمران تولى بجاية بعد وفاة ابية سنة (481 هـ). ينظر: الزركلي، الإعلام، ج7، ص305؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن احمد بن عثمان، (ت 748هـ)، سير إعلام النبلاء، دار الحديث، د. (القاهرة، 1427هـ/ 2006م)، ج14، ص87.

السفن وتسافر إلى جهات عدة»[1] تتميز بجاية بجمال الطبيعة لأحاطتها بالجبال الخضراء اضافة إلى اطلالتها على مياه زرقاء صافية مما يضيف الى هذهِ المدينة مدينة سياحية مميزة، ولعبت هذهِ المدينة الصغيرة دوراً مهماً كميناء تجاري وثقافي، وفي وصفها كمدينة تجاريه اذ يقول القلقشندى فيها: «والمدينة القديمة تقع في سفح جبل يدخل إليها خور من البحر الرومي تدخل منها المراكب إليها»[2] وهذا يدل على مكانتها التجارية المهمة بل لم تكن مدينة سياحية فقط بل كانت بوابة اقتصادية لبلاد المغرب، وما يميز هذهِ المدينة كثرة البساتين فهي تمتد على مساحات خضراء كبيرة وخصبة والتي تقع بين الجبال والوديان وتعرف بإنتاجها الزراعي المتنوع الذي يشمل الفواكه والخضراوات والزيتون، وقيل عن بساتينها وأنهارها «ولها نهر في شرقيها على شاطئ البساتين وفيها عينان من الماء»[3] ، إما في المناطق الريفية المحيطة بالمدينة فقد كانت غنية بالزراعة لكثرة الإمطار فيها إذ يعتمد سكانها على الزراعة البستانية كمصدر رئيسي للعيش حيث تُزرع العديد من الفواكه والأشجار «كالزيتون والصفصاف والنارنج والرمان» مما يساعد في رفع المستوى المعيشي لتلك القرى التابعة لها وتسويق فائض ألإنتاج للمدينة [4] .

إما ما يخص الجانب الاجتماعي فقد كانت المعلومات تكاد تكون شحيحة بواقع مدينة بجاية إلا إننا من بعض الإشارات نستطيع إن نكون فكرة عن هذهِ المدينة فيما يخص المجتمع البجائي لاسيما إن هذهِ المدينة حالها حال باقي المدن المغربية أفقد تنوع مجتمع بجاية بتنوعه الثقافي والاجتماعي « فقد أسهم العلماء في صياغة الحياة العلمية والاجتماعية لبجاية من خلال حضورهم البارز في الحلقات التدريسية وتأثيرها على المجتمع «إذ يظهر مزيجا غنيا بالتقاليد الامازيغيه والإسلامية والعربية مما يعكس تاريخ المدينة كمركز حضاري وعلمي ويمكن تقسيم المجتمع إلى عدة أقسام منهم الامازيغ وهم يشغلون التركيبة السكانية الغالبة ويتحدثون اللغة الامازيغية إلى جانب اللغة العربية وهذا التنوع اللغوي يعكس لنا هوية ثقافية مزدوجة بين اللغة العربية والامازيغية إضافة إلى إن المجتمع يتكون من فئات مختلفة مثل، العلماء، الفقهاء، الحرفيين، الفلاحين، التجار .

وقد لعب العلماء دور بارز في نشر العلم والقيم والأخلاق في المجتمع حتى أصبحت بجاية «مقصد لطلاب العلم حيث يجتمع فيها الفقيه والتاجر والصانع في مجلس واحد يتناقل فيه العلم كما يبرم فيه التفاهم بين الناس»، بالإضافة إلى فئة الموظفين في القطاع الحكومي والتعليمي. والمجتمع البجائي معروف بتمسكهُ بالعادات والتقاليد مثل المناسبات الاجتماعية والاحتفالات الدينية إلى جانب اهتمامهم بالفنون الشعبية والموسيقى الامازيقية، وبهذهِ الصفات نستطيع القول بأن مدينة بجاية ليس فقط مدينة ذات طابع طبيعي ساحر بل أيضا كان مجتمع نابض بالحياة متماسك ومثقف [5] .

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص339.
(2) القلقشندي، احمد بن علي بن احمد الفزاري القاهري، (ت 821هـ)، صبح الاعشى في صناعة الاعشى، دار الكتب العلمية، د.ط، (بيروت، د.ت)، ج5، ص104.
(3) القلقشندى، صبح الأعشى، ج5، ص104.
(4) المصري، أبو سعيد، الموسوعة الموجزة في التاريخ، ج11، ص203.
(5) بلمهيوب، حمزة حفيظة، تاريخ بجاية، مج، الثقافة الإسلامية، 2017، العدد 13، ص128.

وفي الجانب الصناعي قيل فيها «وبها دار لإنشاء الأساطير لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثيرة ويجلب إليها من أقاليمها الزيت الطيب والقيروان، وبها معادن للحديد وبها من الصناعات كل غريب»[1]. وهذهِ الصناعات تكون احد العوامل التي أنعشت اقتصادها بسبب وفرة المواد الأولية لتلك الصناعات إذ تعد من بين المصادر الأساسية لتوزيع مصادر الدخل وتوفير فرص عمل لساكنيها، وقد ذكر البلوي عن عمران هذهِ المدينة بقوله «فنزلنا بها في قصر من الديار، ودار من القصور دار تخجل منها الدور وتقاصر عنها القصور وتقر لها بالقصور»[2] وهذا القول هو تأكيداً على تطور المدينة لما تمتلكة من خيرات ومواد أولية لتشييد تلك المباني فقد مدحها البلوي قائلاً:

«دار مشى الإتقان من تنجيدها
حتى تناسب روضها وبناؤها
من قومه الجنبات ذات قراره
يمتد قدام العيون فضاؤها
ما زال يضحك دائما نوارها
في وجه ساحة ويلعب ماؤها»[3]

5- مدينة بونه

هي مدينة تقع في وادي بونه قال فيها ياقوت الحموي «بونه بالضم ثم الفتح وتشديد النون وادي بونه»[4] وقال عنها البلوي وهو يصفها قائلاً «فرأيت مدينة حصينة شهيرة الامتناع باعة الارتفاع ومعدومة الشبيه والنظير في القلاع»[5] ومما اشاره البلوي بذكره عن تحصين أسوارها ومسرها للناظر تشير إلى أهمية المدينة العمرانية والأمنية والاجتماعية، إما عن الجانب الاقتصادي ذكرها البلوي بقولة «رأيت نهران يحفان بساتينها .... لها ارض تسر النظر إليها بكثرة إزهارها واطراد أنهارها ..... وجعل عودها مثمر وظلها ضليلا مديداً فيا لله اتساع ظواهرها بواديها»[6].

وهذا ما أشار البلوي عن أهمية تلك المدينة الاقتصادية من كثرة بساتينها التي تعتمد أساسا على جريان أنهارها التي تجلب القوافل التجارية للارتواء من مياهها.

6- مدينة تونس

مدينة كبيرة «محدثة بأفريقية على ساحل بحر الروم عمرت من أنقاض مدينة كبير قديمة بالقرب منها يقال لها قرطاجنة[7] وكان اسم تونس في قديم ترشيش وهي على ميلين من قرطاجنة، ويقال انها سميت بتونس «لأن المسلمون لما فتحوا افريقية نزلوا بأزاء صومعة ترشيش كان هناك راهب فيأنسون بصوت الراهب هذهِ الصومعة تؤنس فلزمها هذا الاسم»[8] وليس بها ماء جاري إنما شربها من الآبار والمصانع الذي يجتمع بها مياه المطر، «كان في كل دار مصنع وأبار خارج الديار

(1) المنعم الحِميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، دار السراج، ط2 (بيروت، 1980هـ/ 1274م)، ج1، ص81.
(2) تاج المفرق، ج2، ص138.
(3) تاج المفرق، ج2، ص138.
(4) معجم البلدان، ج1أص 512.
(5) تاج المفرق، ج1، ص165.
(6) تاج المفرق، ج1، ص163.
(7) قرطاجنة: اسم هذهِ المدينة قرطا وأضيف لها جنة لطيبها ونزهتها وحسنها وهي بلدة قديمة من نواحي افريقية طولها أربعة وثلاثون درجة وعرضها خمس وثلاثون درجة مدينة عظيمة شامخة البناء أسوارها من الرخام الأبيض ربها من العمد الرخام المتنوع الألوان ما لا يحصى. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، 323.
(8) الحميري، الروض المعطار، ج2، ص44.

في إطراف البلد ومائها ملح وهي من أصل بلاد افريقية»[1] فقد عدها البلوي مكاناً مستريحاً بعد عناء من السفر وهو يصفها قائلاً: «فأرحت الراحة من الرحل وأستبشرت بالخصب بعد المحل ولابد دون الشهد من ابر النخل»[2] فعلى الرغم انها ليس فيها مياه جاريه انما شربها على الابار والمصانع التي تجمع مياه الامطار الا انها لا تخلو من النخل والبساتين فقيل «تونس من اشراف افريقية وأطيبها ثمراً وأنفسها فاكهة فمن ذلك اللوز رقيق القشر طيب المضغة وعظيم الحبة، والرمان الضعيف الذي لا عجب له صدق الحلاوة وكثرة المائية والتين الاسود كبير رقيق القشر كثير العسل لا يكاد يوجد لهُ بزر وغيرها من الفواكه الكثيرة والمتنوعة»[3] مما يزيد لهذهِ المدينة مورداً داعما لأقتصادها، ومكان لأستراحة الرحالة.

ويذكر ياقوت فيقول «داخل الخندق بساتينها كثرة وسواق تعرف بسواق المرج»[4] قد لعبت التجارة دوراً بارزا في اقتصادها فأزدهرت التجارة الداخلية والخارجية حيث استفادت تونس من موقها المميز الذي يطل على البحر المتوسط مما جعلها حلقة وصل للقوافل التجارية البحرية بين المشرق وأوروبا، فقيل « وبها اسواق كثير ومتاجر عجيبة وفنادق وحمامات»[5] التي كانت تعج بالحرفيين والتجار مما أنعشت النشاط الاقتصادي في داخل المدينة، ومن الجوانب الداعمة للاقتصاد السياسة المالية التي اتبعتها الدولة الحفصيه من فرض بعض الاموال على التجار المارين بها فقد ساعد هذا النطاق في تنشيط اقتصادها[6] .

اما عن مجتمعها فقد كانت طبقات المجتمع تعكس البنية السياسية والاقتصادية للدولة الحفصيه اذ شهدت مدينة تونس تنوع واضح في التركيبة السكانية فشغلت الطبقة الحاكمة المرتبة الاولى في المجتمع والتي تتكون من السلطان الحفصي نزولاً بأخر مرتبة من هذهِ الطبقة ثم تليها طبقة العلماء والفقهاء والمشايخ الذين كان لهم دور بارز في الدولة الحفصيه، ثم تليها طبقة التجار والحرفيين التي شملت التجار الكبار والحرف ثم، تليها الطبقة المتوسطة وهم التجار الصغار اي المحليين والكتاب والموظفين لدى الدولة حتى قيل فيها «تونس اكثر البلاد باعة»[7]، وتأتي طبقة الشعبية في المرتبة الدنيا وهم الفلاحون والخدم التي كانت تعاني من سوء المستوى المعيشي .

الخاتمة

كان كتاب (تاج المفرق في تحليه علماء المشرق) لأبي البقاء خالد بن عيسى البلوي الذي يعد من أهم كتب الرحلات على الإطلاق ودرة من درر الأدب العربي، إذ سجل فيها البلوي المظاهر الاجتماعية والثقافية والحضارية والعلمية للبلاد التي جابها خلال رحلته، وذكر العلماء والأدباء الذي التقى بهم، وقد اشتهرت هذهِ الرحلة في المغرب والمشرق وتداولتها الأيدي حيث أصبحت مصدر لكثير من رجال التراجم والإعلام وقد كتبها مؤلفها إثناء رحلته إلى المشرق فوصف ما شاهدة من الأقطار التي جابها .

وتحدث على من التقى بهم من العلماء وقيد

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص60.
(2) تاج المفرق، ج1، ص166.
(3) الحميري، الروض المعطار، ج1، ص44.
(4) معجم البلدان، ج2، ص61.
(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص61.
(6) معجم البلدان، ج2، ص61.
(7) الحميري، الروض المعطار، ج1، ص144-143.

مذكراتهم، حيث كتب مؤلفة هذا إثناء رحلته فلما عاد إلى الأندلس نقحها وأطلع عليها رجال الفكر والثقافة، حيث كان رحيل البلوي في نفس السنوات التي رحل فيها ابن بطوطة، حيث ذكر البلوي تفاصيل المدن التي مر بها إثناء رحلته وتناول أحوالها الاقتصادية من زراعة وصناعة وأسواق .

وقد ركز هذا البحث عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لمدن المغرب التي مر بها إثناء رحلته حيث تناول الأسواق والمحال التجارية والصناعات والحرف وتناول الجانب الزراعي لتلك المدن بوصفة لمصادر المياه من الواحات والينابيع ذاكراً خصوبة الأرض الصالحة للزراعة حيث لا تخلوا رحلة البلوي من تدوين الإحصاءات الحسابية للمحلات ألبقاله والحوانيت والتعاملات النقدية والمقايضات التجاري .

المصادر والمراجع

اولاً: المصادر

1. البكري، أبو عبيد عبد الله عبد العزيز بن محمد الأندلسي، (ت 487هـ)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، د. ط ، (بيروت، 1992م).

2. البلوي، أبو البقاء خالد بن عيسى، (ت780 هـ)، تاج المفرق في تحليه علماء المشرق، تح: الحسن السائح.

3. التنبكي، احمد بابا بن محمد، (ت 1036هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله، دار الكتب، ط2، (طرابلس، 2000م) .

4. الحنبلي، محمد بن احمد بن سالم أبي العون، (ت 1188 هـ)، شرح ثلاثيات مسند الإمام احمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1971م) .

5. الحِميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، دار السراج ط2 (بيروت، 1274م) .

6. ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، (ت 776هـ)، الإحاطة في إخبار، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي غرناطة، دار الكتب العلمية، ط1(بيروت، 2003م).

7. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن احمد بن عثمان، (ت 748هـ)، سير إعلام النبلاء، دار الحديث، د.ط، (القاهرة، 2006م) .

8. ابن شمائل، عبد المؤمن ابن عبد الحق ألقطيعي الحنبلي صفي الدين، (ت 739 هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، ط1، (بيروت، 1991م).

9. لقلقشندى، احمد بن علي بن احمد الفزاري القاهري، (ت 821هـ)، صبح الاعشى في صناعة الاعشى، دار الكتب العلمية، د. ((بيروت، د.ت) .

10. المقريزي، احمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين، (ت 845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا الله دار الكتب العلمية، ط1، (بيروت، 1997م).

11. المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس التلمساني، (ت 1041 هـ)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، (بيروت، 1900م) .

12. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، (ت 626هـ) . معجم البلدان، دار صادر، ط2، (بيروت، 1995) .

13. الهروي، علي بن سلطان محمد، (ت 1014 هـ)، جمع الوسائل في شرح الشمائل، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1971م) .

ثانياً: المراجع

14. الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر، (ت 1358 هـ)، اثأر الإمام محمد بشير الإبراهيمي، تح: احمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، (د.م، 1997 م) .

15. بابيتي، عزيزة فوال، موسوعة إعلام العرب والمسلمين والعالمين، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1971م) .

16. بلمهيوب، حمزة حفيظة، تاريخ بجاية، مج، الثقافة الإسلامية، 2017، العدد 13 .

17. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط10، (مصر، 2002 م) .

18. الصلابي، علي محمد محمد، دولة الموحدين، دار البيارق، د . ط، (عمان، د.ت) .

19. العسيري، احمد معمور، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد ادم علية السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1417هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، (الرياض – 1996 م) .

20. علي، جواد علي أ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، (بيروت، 2001م).

21. ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح: عبد المجيد خيالة أ دار الكتب العلمية، ط1، (لبنان، 2003م) .

22. المصري، أبو سعيد، الموسوعة الموجزة في التاريخ .

Sources and References

First: Sources

1. Al-Bakri, Abu Ubaid Abdullah Abdul Aziz bin Muhammad Al-Andalusi (d. 487 AH), Al-Masalik wa Al-Mamalik (The Paths and Kingdoms), Dar Al-Gharb Al-Islami, 1st ed., (Beirut, 1412 AH/1992 AD).
2. Al-Balawi, Abu Al-Baqa Khalid bin Issa (d. 780 AH), Taj Al-Mafraq fi Tahliyah Ulama Al-Mashriq (The Crown of the Partition in the Study of the Scholars of the East), ed. Al-Hasan Al-Sa'ih.
3. Al-Himyari, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah bin Abdul Mun'im (d. 900 AH), Al-Rawd Al-Mu'tamar fi Khabar Al-Aqtar (The Fragrant Garden in the News of the Countries), ed. Ihsan Abbas, Dar Al-Siraj, 2nd ed. (Beirut, 1980 AH/1274 AD).
4. Ibn al-Khatib, Muhammad ibn Abdullah ibn Sa'id al-Salmani al-Lushi al-Asl, from Granada, Andalusia, (d. 776 AH), Al-Ihata fi Ikhbar, ed. Muhammad Abdullah Annan, Al-Khanji Library, Granada, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st ed. (Beirut, 1424 AH).
5. Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman, (d. 748 AH), Siyar I'lam al-Nubala', Dar al-Hadith, 1st ed., (Cairo, 1427 AH/2006 AD).
6. Ibn Shama'il, Abd al-Mu'min ibn Abd al-Haqq al-Qat'i al-Hanbali Safi al-Din, (d. 739 AH), Marasid al-Ilā' ala Asma' al-Amna wa al-Baq'a, Dar al-Jil, 1st ed., (Beirut, 1412 AH/1991 AD). 7. Al-Qalqashandi, Ahmad ibn Ali ibn Ahmad

mashqi (d. 1396 AH), Al-A'lam (The Notables), Dar Al-Ilm Lil-Malayin, 10th ed., (Egypt, 2002 AD).

16. Al-Sallabi, Ali Muhammad Muhammad, The State of the Almohads, Dar Al-Bayariq, n.d., (Amman, n.d.).
17. Al-Asiri, Ahmad Ma'mur, A Brief History of Islam from the Era of Adam (Pre-Islamic History) to the Present Era, 1417 AH, King Fahd National Library, 1st ed., (Riyadh, 1417 AH - 1996 AD).
18. Ali, Jawad Ali, (d. 1408 AH), Al-Mufassal fi Tarikh al-Arab Qabl al-Islam, Dar al-Saqi, 4th ed., (Beirut, 1422 AH, 2001 AD).
19. Ibn Makhlouf, Muhammad ibn Muhammad ibn Umar, (d. 1360 AH), The Fragrant Tree of Light in the Classes of the Malikis, trans. Abdul Majeed Khayala, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st ed., (Lebanon, 1424 AH).
20. Al-Masri, Abu Saeed, The Concise Encyclopedia of History.
21. Al-Maqri, Shihab al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Yahya, Abu al-Abbas al-Tilimsani, (d. 1041 AH), Nafh al-Tayyib fi Ghusn al-Andalus al-Ratib, trans. Yusuf al-Sheikh Muhammad al-Baqa'i, Dar al-Fikr for Printing, Publishing, and Distribution, 1st ed., (Beirut, 1900).
22. Al-Harawi, Ali bin Sultan Muhammad, (d. 1014 AH), Collection of Means in Explaining the Characteristics, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (Beirut, 1971 AH).

al-Fazari al-Qahiri (d. 821 AH), Subh al-A'sha fi San'at al-A'sha, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, n.d., (Beirut, n.d.).

8. Al-Maqrizi, Ahmad ibn Ali ibn Abd al-Qadir Abu al-Abbas al-Husayni al-Ubaydi Taqi al-Din (d. 845 AH), Al-Suluk li-Ma'rifat Dawul al-Muluk, ed. Muhammad Abd al-Qadir Atallah, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st ed., (Beirut, 1418 AH / 1997 AD).
9. Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah ibn Abdullah al-Rumi (d. 626 AH). Mu'jam al-Buldan, Dar Sadir, 2nd ed., (Beirut, 1995).

Second: References

10. Al-Ibrahimi, Muhammad ibn Bashir ibn Umar (d. 1358 AH), The Legacy of Imam Muhammad Bashir al-Ibrahimi, trans. Ahmad Talib al-Ibrahimi, Dar al-Gharb al-Islami, 1st ed. (No. 1417 AH/1997 AD).
11. Babiti, Aziza Fawal, Encyclopedia of Media for Arabs, Muslims, and Worlds, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (Beirut, 1971 AD).
12. Belmahyoub, Hamza Hafiza, History of Bejaia, Islamic Culture, 2017, Issue 13.
13. Al-Tanbaky, Ahmad Baba ibn Muhammad (d. 1036 AH), Attaining Delight in Brocade Embroidery, trans. Abdul Hamid Abdullah, Dar al-Kutub, 2nd ed. (Tripoli, 2000 AD).
14. Al-Hanbali, Muhammad ibn Ahmad ibn Salim Abi Al-Awn (d. 1188 AH), Explanation of the Three Hadiths of Imam Ahmad's Musnad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (Beirut, 1971 AH).
15. Al-Zarkali, Khair Al-Din ibn Mahmoud ibn Muhammad ibn Ali ibn Faris Al-Di-